وتخلفاتها عن الحكمة الإلهية، لا تأهل لتكون من عطيات الله الخاصة، الموصوفة بـ ﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾ بل هي من خلفيات أفكار فلسفية خليطة من الحق والباطل، غير خليصة عما يناحر الحكمة الحكيمة.

وإذا كانت هي حكمة تمنع عن التعثُّر والانزلاق، فما هذه التعثرات الشاسعة، والاختلافات الواسعة بين أصحاب الحكمة البشرية، فلم تزد هي على كل أبعادها إلا إبعاداً عما تحكمه الفطرة السليمة والعقلية الإسلامية السامية.

وليس معلم الحكمة الحكيمة المرضية إلا الله، ورسل الله بما أرسلهم الله ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ . . .﴾[1] فالقرآن هو كرأس الزاوية في حقل الحكمة الإلهية في كل بنود الدعوة الرسالية ﴿حِكْمَةٌۢ بَـٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾[2].

ذلك، وكما الله حكيم[3] وأين حكيم من حكيم، إلّا أن الحكمة النازلة على رسله وسائر المصطفين من خلقه، هي من حكمته الممكن إيتاءها لخلقه، استحكاماً في سبل عبوديته.

والحكمة في آياتها العشرين هي القرآن وما يحويه، وهي حكمة نبي القرآن تفسيراً وتطبيقاً لما يحويه، ولأن القرآن حكمة في كل الحقول، فقد تعني الحكمة بكل زواياها الفطرية والعقلية والعلمية والعقيدية والأخلاقية والفردية والجماعية، اقتصادية وسياسية وحربية أماهية من حكمة تربط عن الانزلاق والتخلف.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.
(٢) سورة القمر، الآية: ٥.
(٣) لقد وصف الله نفسه بالحكيم في (٩٩) آية من الذكر الحكيم.

وأفضل الحكم الربانية على طول خط الرسالات هو القرآن العظيم، فالعلم به حكمة علمية مطلقة، والتخلُّق به حكمة خُلقية، والعمل به حكمة عملية، وقد يروى عن رسول الهدى ﷺ: «من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه، ومن قرأ القرآن فرأى أن أحداً أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم ما صغر الله وصغر ما عظم الله وليس ينبغي لصاحب القرآن أن يجدّ مع من جدّ ولا يجهل مع من جهل وفي جوفه كلام الله»[١] و«القرآن غنىً لا فقر بعده ولا غنىً دونه»[٢] و«من أعطاه الله حفظ كتابه وظن أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد غمط أعظم النعم»[٣] و«كل مؤدب يحب أن يؤتى أدبه وأدب الله القرآن فلا تهجروه»[٤] و«أوّل ما يرفع من الأرض العلم فقالوا يا رسول الله ﷺ يرفع القرآن؟ قال: لا ولكن يموت من يعلمه - أو قال - من يعلم تأويله ويبقى قوم يتأولونه على أهوائهم»[٥].

فالحكمة التي هي ضالة المؤمن[٦] هي حكمة القرآن حيث يفتش عنها المؤمن، فضالتها - إذاً - ما ضلت عنه ويتحراها، ثم مضلّة المؤمن هي الحكمة البشرية المختلقة.

فكل إخلاص على ضوء القرآن هو نبعة لحكمة معرفية، فـ«من أخلص لله أربعين يوماً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[٧].

وحين يكون «القرآن منار الحكمة»[٨] فما سواه هو نار الحكمة، حيث

---

(١) الدر المنثور ١: ٣٤٩ - أخرج الطبراني والحاكم وصححه والبيهقي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: . . .

(٢) المصدر أخرج أبو نعيم في فضل العلم ورياضة المتعلمين والبيهقي عن أنس أن النبي ﷺ قال: . . .

(٣ - ٧) المصدر كلها عن رسول الله ﷺ بأسانيد عدة.

(٨) نور الثقلين ١: ٢٨٧ - علي بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السكوني عن أبي =

«إن الحكمة المعرفة والتفقه في الدين فمن فقه منكم فهو حكيم، وما أحد يموت من المؤمنين أحب إلى إبليس من حكيم[١] وهل يصدر فقه الدين في أصوله وفروعه إلا من وحي القرآن؟!.

و«هي طاعة الله ومعرفة الإسلام»[٢] وهل لهما منار إلّا حكمة القرآن؟.

ولقد أوتي النبي ﷺ القرآن وأوتي من الحكمة مثل القرآن[٣] وهو السُّنة المفسرة للقرآن. و«الحكمة ضياء المعرفة وميزان التقوى وثمرة الصدق، ولو قلت ما أنعم الله على عباده بنعمة أنعم وأنظم وأرفع وأجزل وأبهى من الحكمة لقلت قال الله: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي لا يعلم ما أودعت وهيأت في الحكمة إلا من استخلصته لنفسي وخصصته بها، والحكمة هي النجاة وصفة الحكمة الثبات عند أوائل الأمور والوقوف عند عواقبها وهو هادي خلق الله إلى الله[٤] «ورأس الحكمة مخافة الله»[٥] وهي «حقيقة الإيمان»[٦].

= عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله ﷺ - وقد ذكر القرآن - لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، مصابيح الهدى ومنار الحكمة.

(١) المصدر في تفسير العياشي عن سليمان بن خالد قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البَقَرَة: ٢٦٩] فقال: إن الحكمة المعرفة...

(٢) المصدر في محاسن البرقي عن أبيه عن النضر بن سويد عن الحلبي عن أبي بصير قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الآية فقال:...

(٣) نور الثقلين ١: ٢٨٧ عن مجمع البيان وروي عن النبي ﷺ أنه قال: إن الله آتاني القرآن وآتاني من الحكمة مثل القرآن وما من بيت ليس فيه شيء من الحكمة إلا كان خراباً.

(٤) المصدر عن مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام.

(٥) المصدر عن الخصال عن الزهري عن علي بن الحسين عليه السلام قال: كان آخر ما أوصى بالخضر موسى بن عمران عليه السلام أن قال له: لا تغبرن أحداً - إلى قوله -: رأس الحكمة مخافة الله.

(٦) المصدر عن الخصال عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينما رسول الله ﷺ ذات يوم في بعض =

والحكمة نظرية ومعرفية وخلقية وعملية أمّاهية، ليست حكيمة إلا على ضوء حكمة القرآن، وليست الحكمة هي - فقط - قراءة القرآن، أم حفظه عن ظهر الغيب، بل هي هدي القرآن علمياً وعقيدياً وعملياً، وكما يدل على هذا الخصوص ﴿مَن يَشَآءُ . . .وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ . . .﴾.

فالحكيم هو الذي استحكم بالقرآن عُرى فطرته وعقليته وإحساسه، حيث أوتي - إذاً - القصد والاعتدال فلا يفحش ولا يتعدى الحدود، وأوتي إدراك العلل والغايات فلا يضل في تقدير الأمور، وأوتي البصيرة المستنيرة التي تهديه للصالح الصائِب من الحركات والأعمال وكافة البركات في أعمال وحركات، وذلك خير كثير، رغم أنه ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[1].

فكل علم أوتيناه ككلٍّ قليل، وما يؤتيه الله لمن يشاء من الحكمة هو خير كثير ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ تلك العطية الربانية والخير الكثير ﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ الزائلة عنهم قشور عقولهم، فأولو الألباب هم ممن يشاء الله أن يؤتيهم الحكمة دون أولي القشور.

﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوۡ نَذَرۡتُم مِّن نَّذۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾﴾:

﴿نَّفَقَةٍ﴾ هي المأمور بها بأصل الشرع، و﴿نَّذۡرٖ﴾ هو المأمور به بما لزمه على أنفسنا بنذرٍ أو شبهه عهداً أو حلفاً أما شابه، وعل ﴿نَّذۡرٖ﴾ هنا

= أسفاره إذا لقيه ركب فقالوا: السلام عليك يا رسول الله، فالتفت إليهم وقال: من أنتم؟ فقالوا مؤمنون، قال: فما حقيقة إيمانكم؟ قالوا: الرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله والتفويض إلى الله فقال رسول الله ﷺ علماء حكماء كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء، فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون ولا تجمعوا ما لا تأكلون واتقوا الله الذي إليه ترجعون.

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

بمناسبة ﴿نَّفَقَةٍ﴾ هو نذر المال، وضمير الغائب المفرد في ﴿يَعْلَمُهُۥ﴾ راجع إلى «ما» فيهما، دون خصوص النذر أم إليهما.

إذاً فكل مال تؤتونه للمحاويج ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ كماً وكيفاً ونية وطوية واتجاهاً، ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ وعلّ «الأنصار» تشمل هنا كل عدل وشفيع، وكل تكفير من توبة وسواها، اعتباراً أن المورد من حقوق الناس، وهي لا تغفر حتى يغفر المظلوم؟ فـ«إياكم والظلم فإن الظلم هو الظلمات يوم القيامة»[1].

أم أن هذه كضابطة: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ حين يموتون ظالمين، وأما من ظلم ثم كفّر عن ظلمه فهو منصور حيث يُغفر، كما وأن من مات ظالماً بصغار الذنوب تاركاً للكبائر فهو منصور حيث يغفر: ﴿إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾[2] كما وإن من أهل الكبائر من يشفع له، ومهما كان ترك الإنفاق والنذر من الكبائر، فهو منصور حيث يغفر، وإنما الظالم الذي لا يغفر له هو الذي

(١) قد ورد متظافراً عن رسول الله ﷺ في أحاديث عدة كما في الدر المنثور ١: ٣٥٢، وفيه أخرج الطبراني عن أبي أمامة قال قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أمتي لن تنالهم شفاعتي أمام ظلوم غشوم وكل غال مارق»، فيه أخرج الحاكم وصححه عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة»، فيه أخرج أحمد بن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه»، أخرج الطبراني عن خزيمة بن ثابت قال قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام يقول الله وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»، فيه أخرج أحمد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافراً فإنه ليس دونها حجاب»، فيه أخرج أبو الشيخ ابن حبان في كتاب التوبيخ عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله ولأنتقمن ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره فلم يفعل».

(٢) سورة النساء، الآية: ٣١.

مات مشركاً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[١] أمنَّ شابه.

ثم ﴿نَّفَقَةٍ﴾ تعم كافة النفقات مالية وسواها الذي قد يربوا عليها، وكذلك ﴿نَّذۡرٍ﴾ ثم لا نذرَ إلّا في طاعة الله كما لا نفقة إلا في وجه الله، فـ«لاوفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد»[٢] ملكاً شرعياً أو عقلياً أم عرفياً حيث لا يستطيع عليه تكويناً أو تشريعاً، فلا يبدل النذر حكماً من أحكام الله، فإنما يلزم عليك راجحاً من واجب أكثر مما وجب، وسواه.

فلا نذر إلا في نطاق طاعة الله كتأكيد لها، وإلا في ترك معصية الله كتأكيد لتركها.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٢) الدر المنثور ١: ٣٥١ - أخرج ابن أبي شيبة ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن عمران ابن حصين قالت: أسرت امرأة من الأنصار فأصيبت العضباء فقعدت في عجزها ثم زجرتها فانطلقت ونذرت إن نجاها الله عليها لتنحرنها فلما قدمت المدينة رآها الناس فقالوا: العضباء ناقة رسول الله ﷺ فقالت: إنها نذرت إن نجاها الله عليها لتنحرنها فأتوا رسول الله ﷺ فذكروا ذلك له فقال: «بئس ما جزتها نذرت لله إن نجاها الله عليها لتنحرنها ألا لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد».
وفيه أخرج البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن ثابت بن الضحاك عن النبي ﷺ قال: «ليس على العبد نذر فيما لا يملك».
وفيه أخرج بنفس الإخراج عن أنس أن النبي ﷺ رأى شيخاً يهادي بين ابنيه فقال: ما بال هذا؟ قالوا: نذر أن يمشي إلى الكعبة قال إن الله عن تعذيب هذا نفسه لغني وأمره أن يركب.
وفي نقل آخر فقال ﷺ: «اركب أيها الشيخ فإن الله غني عنك وعن نذرك».
وفيه أخرج أبو داود وابن ماجة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «من نذر نذراً لم يسمّه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذراً في معصية الله فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذراً لا يطيقه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذراً أطاقه فليوف به»، وفيه أخرج النسائي عن عمران بن حصين سمعت رسول الله ﷺ يقول: «النذر نذران فما كان من نذر في طاعة الله فذلك لله وفيه الوفاء، وما كان من نذر في معصية الله فذلك للشيطان ولا وفاء فيه ويكفر ما يكفر اليمين».

وأصل النذر من الخوف، وهو هنا الالتزام بما يلزم أو لا يلزم تخوفاً فيما يهمه، من تفلت في ترك واجب أو فعل محظور، أم انتظارٍ لما يتطلبه من ربه في سؤول، فلا نذر دونهما، ولا فوضى فيه تشمل كل إلزام والتزام في غير ما خوف أو رجاء، فإنما النذر بين خوف ورجاءٍ.

وهنا ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُهُۥۗ﴾ بشارة لمن ينفق صالحاً أو ينذر صالحاً، فإنه وعد المنفقين ما وعد، وهو قادر على تحقيق ما وعد، وهو العالم بما فعلت، فانتظر - إذاً - ثوابه عاجلاً أو آجلاً.

ثم هي نذارة لتارك نفقة أو نذر طالحاً أم دون ما يجب، وهو القادر على نقمة الظالمين، العالم بما يعمله الظالمون، سوف يعاقبهم، فلينتظروا عقابه عاجلاً وآجلاً.

فشعور المؤمن بأنّ عين الله ناظرة حاضرة إلى نيته وعمليته، يثير في حسه مشاعر متنوعة حية، تحذراً عن كل محظور في جنب الله، وتنضُّراً بكل إنفاق منظور أو منذور في شرعة الله، وليكون على نُبهة وأهبة واستعداد، سلوكاً إلى الله، حصولاً على مرضات الله.

﴿إِن تُبۡدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخۡفُوهَا وَتُؤۡتُوهَا ٱلۡفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمۡۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ٢٧١﴾:

لكل من إبداء الصدقات وإخفاءها خيرٌ وكما في كل عمل صالح، فـ«عمل السر أفضل من العلانية والعلانية أفضل لمن أراد الاقتداء به»[١] وهنا في الصدقة فالأفضل «جهد من مقل وسر إلى فقير»[٢] فإن السر أبعد من الرياء.

(١) الدر المنثور ١: ٢٥٢ - أخرج البيهقي في الشعب عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ: . . .

(٢) المصدر أخرج الطيالسي وأحمد والبزاز والطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب عن أبي =

فلأن تبنّي النفس صالحة خالصة عند الله أفضل من تبنّي الغير إلّا بعد النفس، فـ ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾.

ثم ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ﴾ في نفسه، نبراساً للآخرين وأسوة للشاردين، وتشجيعاً للواردين، ثم والجمع بين ﴿فَنِعِمَّا هِىَ﴾ - و - ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أن تؤتى الصدقة بادية بخالص النية، دون فارق فيها بين السر والعلن إلّا بأن العلن قدوة وأسوة.

ولأن طبيعة الحال في إبداء الصدقات تسرب الرياء وما أشبه من استخفاف الفقير وإن لم ينوه، فصدقة السرّ - هي ككل - أفضل من العلن، فإن فقدت قدوة فليست لتبتلى بالرياء، ودفع الضر أولى من جلب مزيد الخير.

فلذلك ترى أحاديث النبي ﷺ وأئمة أهل بيته عليهم السلام تتواتر بفضل صدقة السر، لحد «يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله»[1] «صدقة السر تطفئ

= ذر قال قال لي رسول الله ﷺ ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ قلت: بلى يا رسول الله ﷺ، قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة، قلت فالصلاة يا رسول الله؟ قال: خير موضوع فمن شاء أقل ومن شاء أكثر، قلت: فالصوم يا رسول الله؟ قال: قرض مجزئ، قلت: فالصدقة يا رسول الله؟ قال: أضعاف مضاعفة وعند الله مزيد، قلت فأيها أفضل؟ قال: جهد من مقل وسر إلى فقير».

(١) المصدر ٢٥٤ - أخرج أحمد والبيهقي وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت يا رب هل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد؟ قالت: فهل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم النار، قالت: فهل من خلقك شيء أشد من النار؟ قال: نعم الماء قالت: فهل من خلقك شيء أشد من الماء؟ قال: نعم الريح، قالت: فهل من خلقك شيء أشد من الريح؟ قال: نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله».
وفيه عنه ﷺ: «إنه ممن يظله الله في ظله يوم لا ظل إلّا ظله».

غضب الرب»[١] ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾ تعني الصدقات الظاهرة في نفسها، ثم ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ في أنفسكم، وأين خير من خير، حيث الثاني يصنع الأنفس والأول صانع الآخرين، ولذلك فضّل السر على العلن بكلمة التفضيل ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أنفسكم من صدقة العلن، وقد تشمل ﴿لَّكُمْ﴾ الفقراء إلى جانب الأغنياء حفاظاً على كرامتهم كما تحفظ الأغنياء من الرياء.

ولأن الصدقة الواجبة هي أبعد عن الرياء من النافلة، فإبدائها - إذاً - قد يكون أفضل من إخفائها اللهم إلا رياء الناس، كما أن إخفاء النافلة أفضل من إبدائها اللهم إلا اتقاء رياء الناس وهكذا تفسر الأحاديث المفسرة لإبدائها بالفريضة ولإخفائها بالنافلة[٢].

وليست الآية لتعني نافلة الصدقة ككل[٣] كما لم تنقسم إلى فريضة في إبدائها ونافلة في إخفائها، حيث «الصدقات» تحلق عليهما، مهما كانت معاكسة الفضيلة في الإبداء والإخفاء بين الفريضة والنافلة.

ثم الصدقة قد تكون صفة للعطية، فقد تعني العطية الصادقة، صدقاً مع الله حيث تُعطى في سبيل الله وتصديقاً لوعد الله حيث وعد إضعاف الجزاء،

---

(١) فيه أخرج الطبراني عن معاوية بن حيدة عن النبي ﷺ قال: . . .

(٢) نور الثقلين ١: ٢٨٩ - القمي بسند متصل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كل ما فرض الله عليك فإعلانه أفضل من إسراره وكل ما كان تطوعاً فإسراره أفضل من إعلانه ولو أن رجلاً حمل زكاة ماله على عاتقه فقسمها علانية كان ذلك حسناً جميلاً.
وفيه عنه عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ قال: هي الزكاة المفروضة، قلت: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ﴾ [البقرة: ٢٧١] قال: يعني النافلة، إنهم كانوا يستحبون إظهار الفرائض وكتمان النوافل.

(٣) المصدر عن الكافي بسند متصل عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال قلت له: ﴿إِن تُبْدُواْ. . .﴾ [البقرة: ٢٧١] قال: ليس من الزكاة . . . أقول: تعني المفروضة، وفيه عن أبي عبد الله في قول الله عز وجل: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا. . .﴾ [البقرة: ٢٧١] قال: هي سوى الزكاة ان الزكاة علانية غير سر.

وصدقاً مع عباد الله حيث تعطى دون منّ ولا أذى، وصدقاً مع نفس المعطي حيث لا تخالجها أية خالجة خارجة عن الصدق.

﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾:

الهدى هي واقعها بعد الدلالة إليها وتقبُّلها، و﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ﴾ ولا لك ﴿هُدَىٰهُمْ﴾ لأنها توفيق وتكوين وهما من مختصات الربوبية ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[١].

فلقد كان حريصاً على هداهم شغفاً إلى هدى الله فنبهه الله: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾[٢].

والهدى هنا تعم القلبية والعملية، و﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ . . .﴾ تناسب الثانية كما تناسبها الآيات السالفة، فقد كان الرسول يدأب في حملهم على هداهم في صالح الإنفاق، وكان يتحسر على تخلفاتهم عنه، فأذهب الله عنه الحزن بما بين أن ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ الهدى، ومن يشاء أن يهديه وهو الذي يحن إلى هدىً، فلا أن مشيئه بيدك ولا مشيئته الله، ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾[٣].

وقد يعني ﴿هُدَىٰهُمْ﴾ الأولى إلى جانب الثانية، ألا تختص بإنفاقك أهل الإسلام وتحرم من سواهم إذ لم يهتدوا حتى يهتدوا وكما يروى «أن النبي ﷺ كان يأمرنا أن لا نتصدق إلا على أهل الإسلام حتى نزلت هذه

(١) سورة القصص، الآية: ٥٦.
(٢) سورة النحل، الآية: ٣٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٠.